

العارة العربية الإسلامية

م.م. علي سعد عبد الوهاب

المحاضرة الثانية



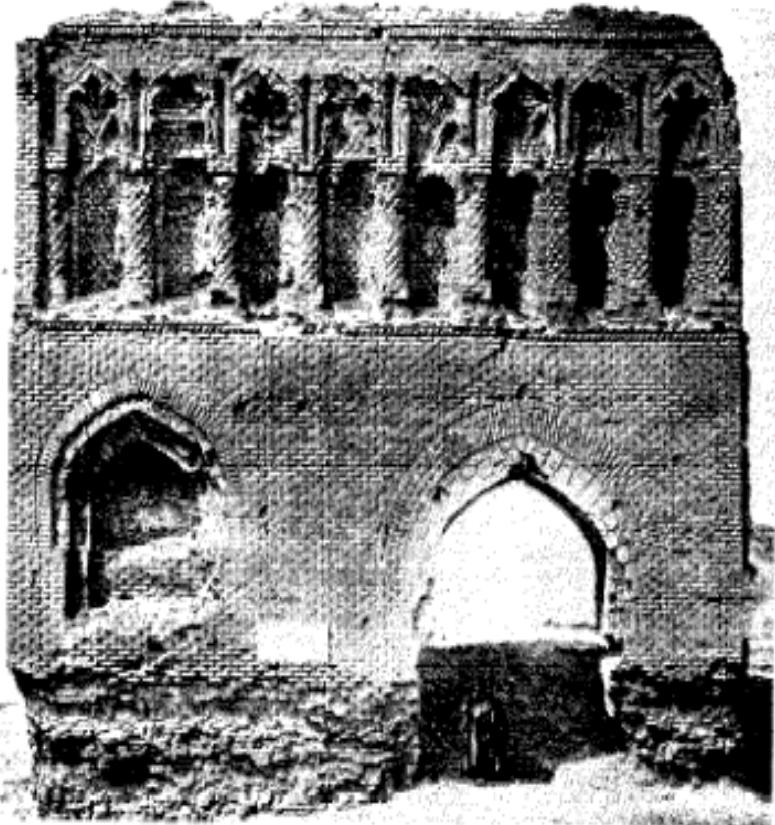
جامعة المثنى

كلية الهندسة

قسم هندسة العارة



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةِ ، الْقَرْنِ (٣-١) هـ / (٩-٧) م



كتاب

ش: ٣٣ - الرقة، باب بغداد

الرئيسية والفرعية تتدلى في خطوط مستقيمة تماماً (ش: ٣٧)، سواء كان ذلك في تواز أو تقاطع في زوايا حادة أو قائمة أو منفرجة، وكل ذلك أتىح انتظام شكل الأراضي التي أعدت للبناء. ولم تكن الطرق وأراضي البناء متعرجة الأضلاع كما كان الحال في المدن التي سبقت مثل البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وغيرها، وهي المدن التي أتت أيام الخلفاء الراشدين أو في أيام الدولة الأموية.

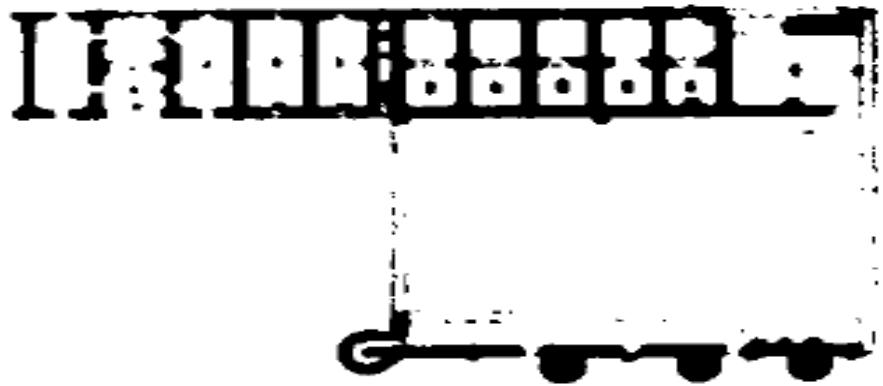
ومن القواهر الهامة في تخطيط مدينة سامرا ابتكار عمل طريق عريض رئيسي يخترق المدينة بطولها الذي يصل إلى ٣٠ كيلومتراً من الشمال إلى الجنوب، وسمى بالشارع الأعظم، فكان بنائه قصبة المدينة.

الفرات وكان قد أنشأها الخليفة المنصور من قبل أن يُشيد بغداد على نهر دجلة، ولكنه لم يتخد منها حاضرة. ولم يبق من مدينة الرقة من العصر العباسي الأول سوى المسجد الذي يتوسطها (ش: ٣٢)، وبعض أسوارها وباب بغداد وهو أحد أبوابها (ش: ٣٣). وكانت أسوارها تتكون من جدارين بينهما فصيل، أي مسافة تفصل بين السورين. وانحدرت الرقة تخطيطاً هندسياً غير منتظم تماماً، ولكن لم يبق من آثار توزيع طرقها الداخلية والمناطق السكنية والتجارية ما يدل على أنها خضعت لنظام هندسي.

أما مدينة سامرا (ش: ٣٦ و ٣٧)^(٣) فإن الآثار الباقية منها تؤكد أن تخطيطها كان على نظام هندسي لا شك فيه، فقد كانت الطرق

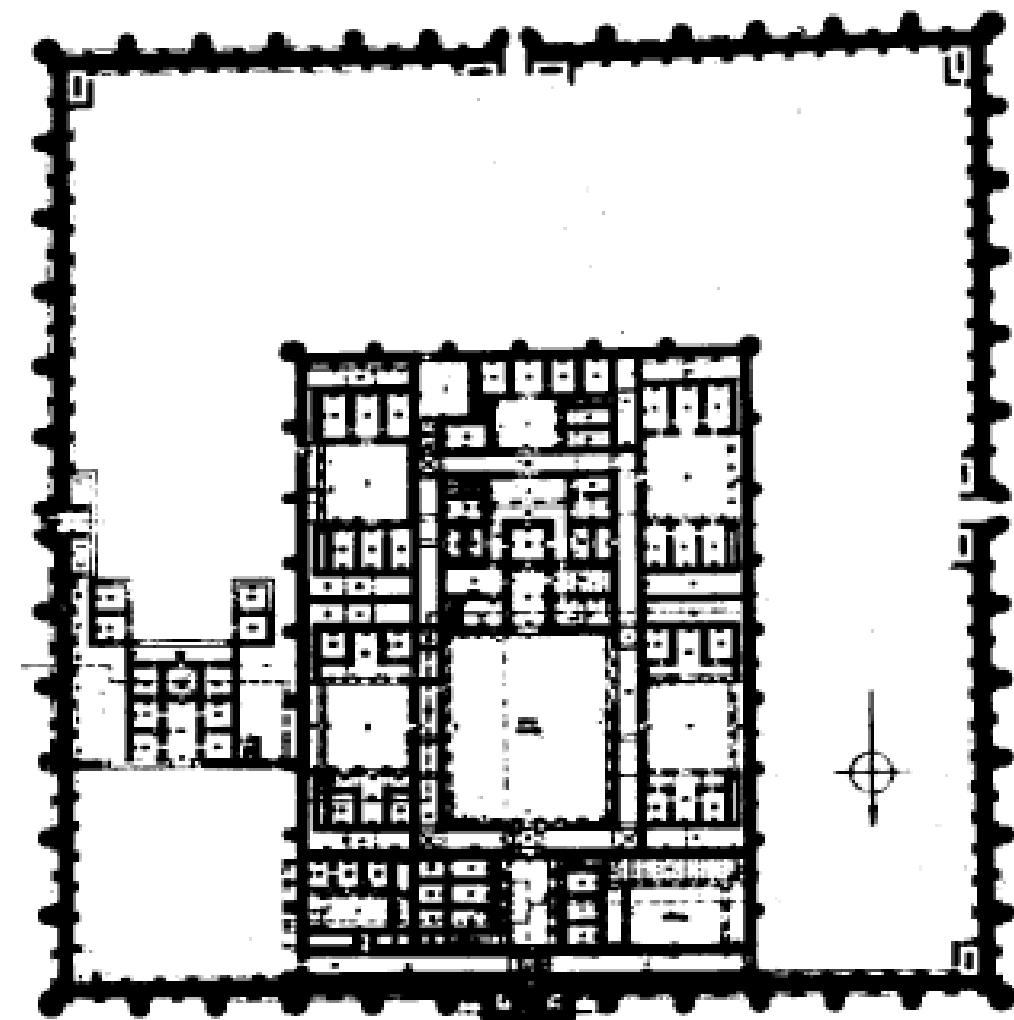


العارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (٣-١) هـ / (٩-٧) م

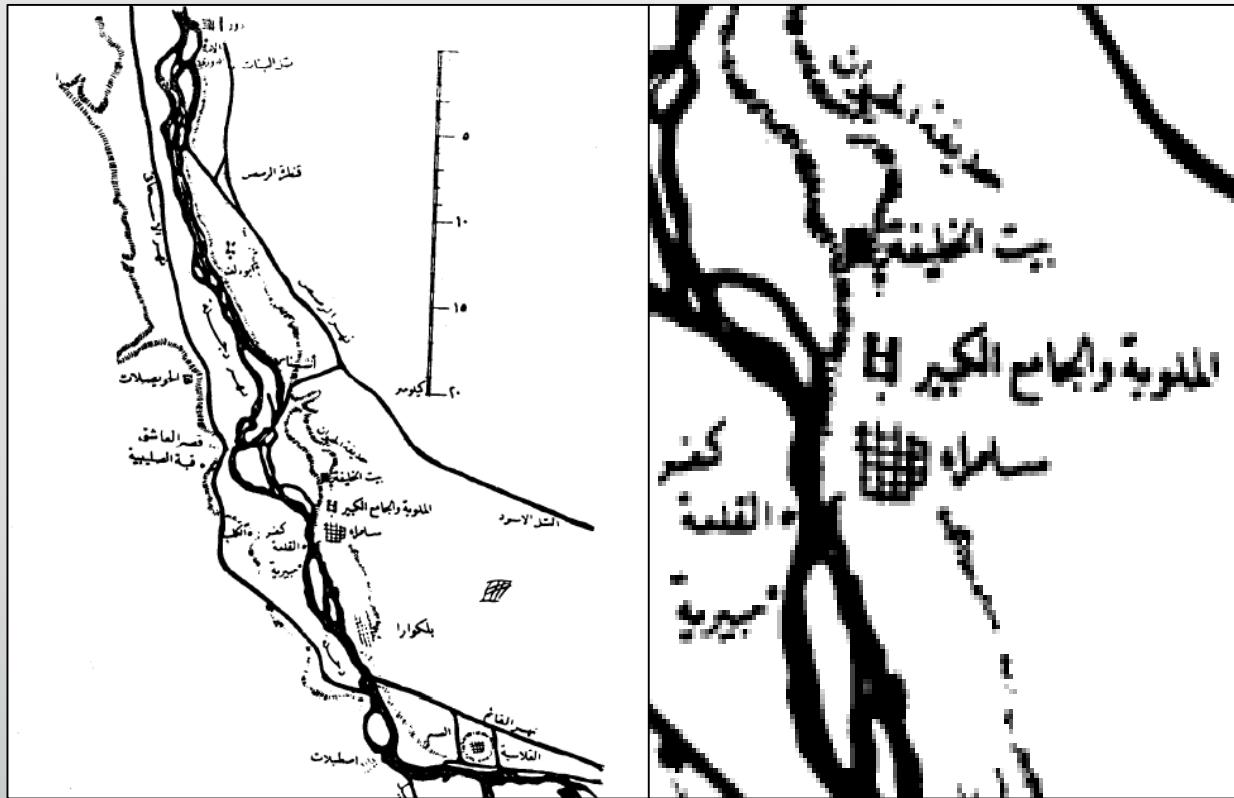


ش : ٣٤ - العراق ، قصر الأخضر ، مسقط

مطهيرية الآثار — بغداد



العارة العربية الإسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (3-1) هـ / (9-7) م



جريدة مدينة ساحل وامتدادها على نهرجلة

٣٦ - سامرا ، خريطة المدينة

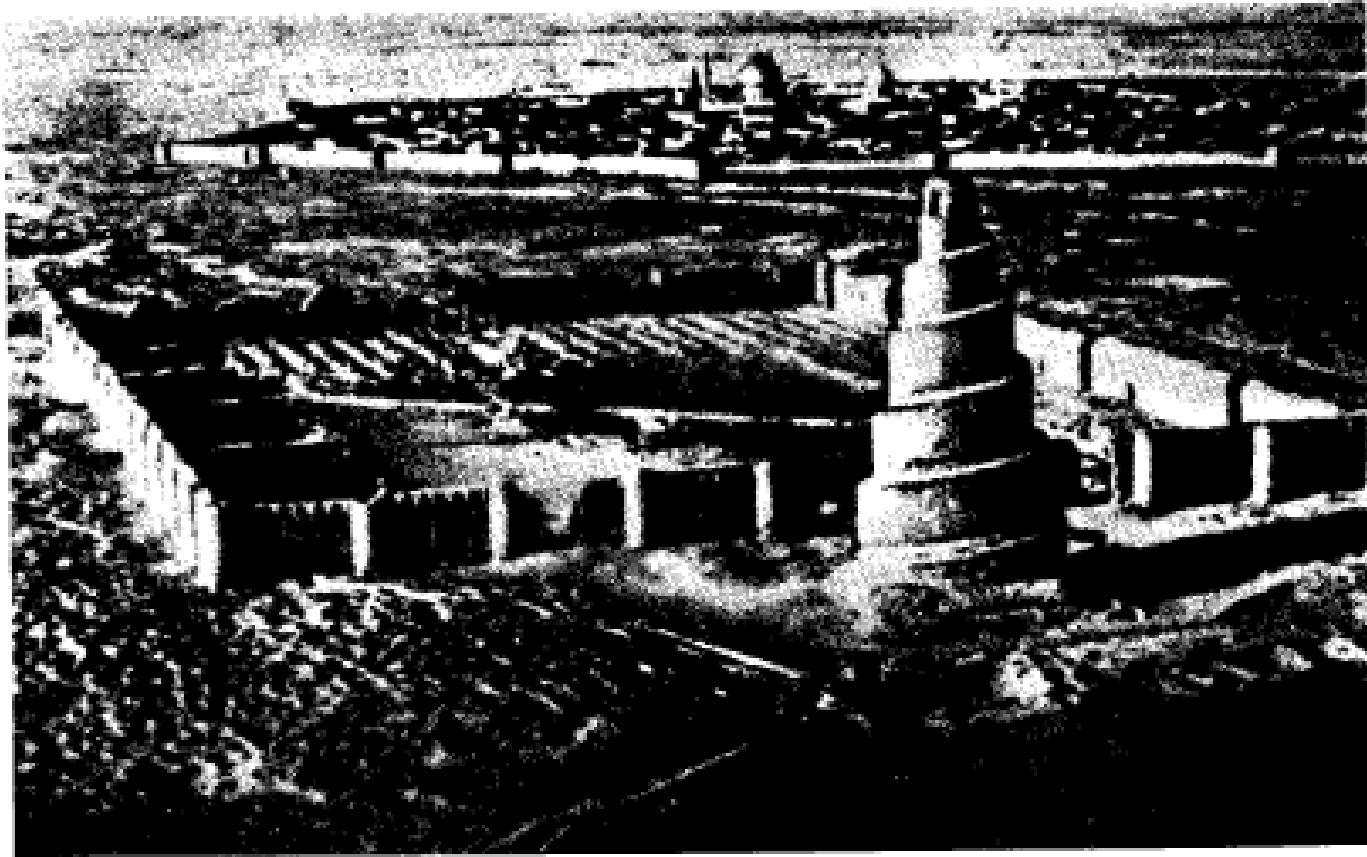
هر تر فلک

وبالإضافة إلى تلك التقاليد الهندسية في التخطيط ، والتي ظلت واضحة كل الوضوح على الرغم من عوادي الزمن ، والتي بدأها العرب المسلمون في مدينة بغداد لأول مرة في تاريخ تخطيط المدن في العالم القديم ، فإن الآثار

بل الخرائب الباقية تبين في جلاء مرحلة متقدمة من النضج المعماري والفنى ما كان يمكن الوصول إليها إلا بعد حلقات متالية من التطور سبقت من غير شك بناء مدينة سامرا ، وبخاصة أنه نضج نعمل الجوهر والمظهر معاً .



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ اِلَاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةِ ، الْقَرْنِ (٣-١) هـ / (٩-٧) مـ



مدبورة الآثار - بغداد

ش : ٣٨ - سامرا ، الجامع من الجو

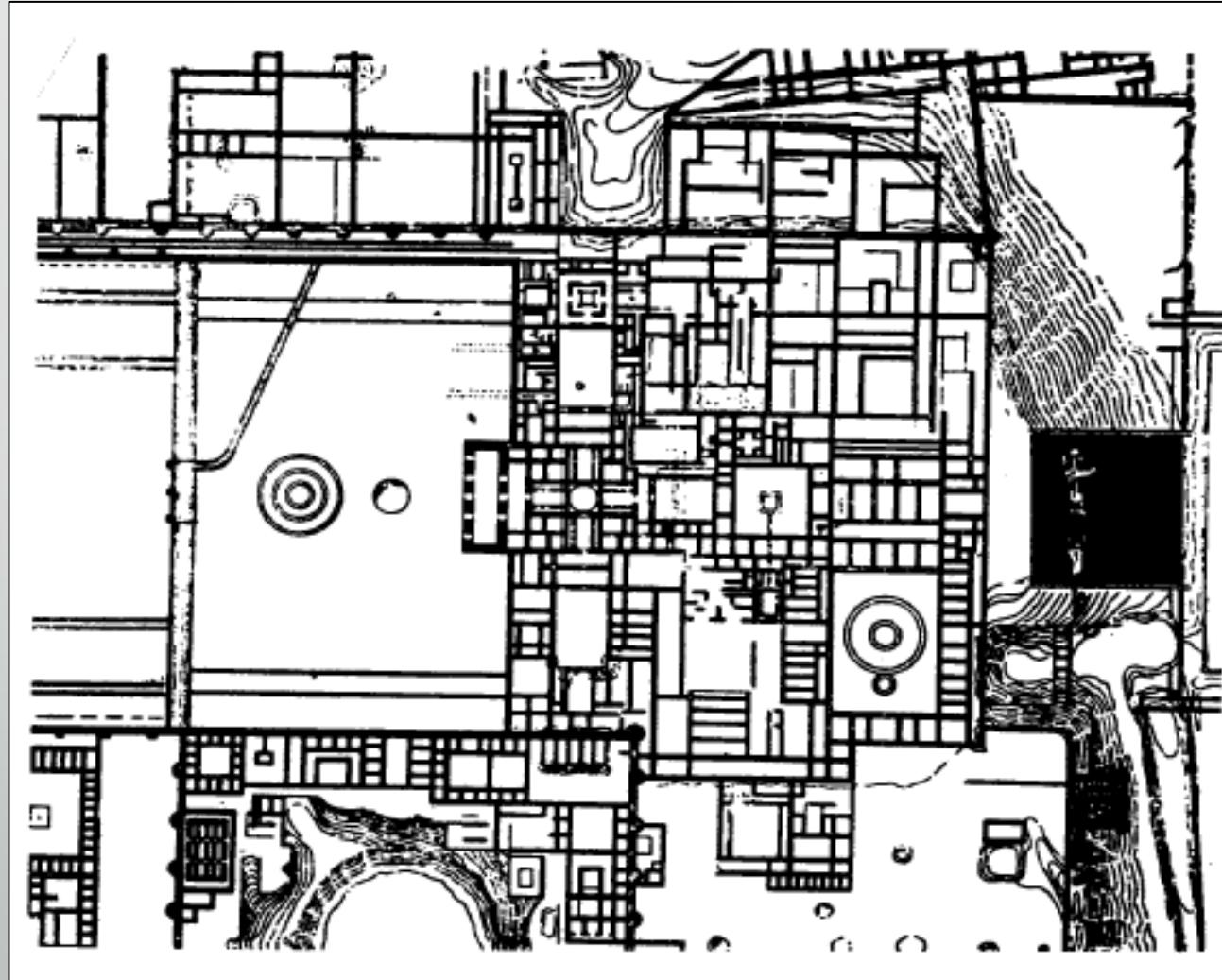
وأغلبظن أن تلك الحلقات قد فقدت مع ما دمر في أثناء عصف الرياح الهوجاء التي أثارها المغول .

وما يثير الاهتمام أن عمران سامرا قد بدأ وانتشر واتسع حتى شمل مساحة شاسعة من الأرض يبلغ طولاً نحو ٣٠ كيلومتراً على امتداد

نهر دجلة ويعرض بين خمسة وعشرة كيلومترات على ضفتيه ، وأن العمران قد وصل إلى ذروته في تلك الرقعة الكبيرة في فترة لا تزيد إلا قليلاً عن نصف القرن ، ثم عاد إلى بغداد مرة أخرى ليستقر فيها نهائياً ، مما تسبب في خراب مدينة سامرا ، فلم يترك منها إلا بقايا جدران ولا اسمها الذي يطلق الآن على قرية قامت على مساحة صغيرة على طرف من خرائب المدينة القديمة .



العارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (3-1) ه / (9-7) ه



وتعطينا بقايا القصور الضخمة العظيمة التي بناها الخلفاء هناك عن مقدار الترف والألهة التي كانت تحيط بهم . فقد كان يتقدم القصر منها أبواب ضخمة عالية وأفنيه واسعة تتبع وراء بعضها البعض ، وتتأتى بعدها قاعات العرش والاستقبال وأجنحة الحرم وأهل البيت والامراء . وتحيط بها دور المال ونگات الحرس والجنود والاسطبلات وخزائن السلاح ومنازل الحاشية وقصور الوزراء

ش : ٣٩ - سلعراء ، الجوشق المأقاني ، مسقط

هربرت فللد



العمراء العربية الإسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (١-٣) هـ / (٩-٧) هـ

أما من حيث ظواهر العمارة الجديدة في سامرا ، فقد وجدت فيها عدة منها تعد أقدم أمثلة لها في العالم الإسلامي ، وهي تهمنا بوجه خاص لعلاقتها بتطور العمارة في مصر وذلك منذ بداية العصر الطولوني ، فقد ظهر بعضها في ذلك العصر وظهر بعضها الآخر في العصر الفاطمي .

من تلك الظواهر عمل «البدنات» أي الدعامات التي يرتكز عليها السقف في كل من جامع سامرا الكبير وجامع أبي دلف على هيئة أكتاف قطاعها الأفقي إما مربع (ش : ٣٨) أو مستطيل ، وشيدت بالبناء ، وذلك لتحمل السقف في ظلات المساجد إما مباشرة وغير عقود كما في جامع المعتصم ، أو لتحمل عقوداً تتكون منها بائكات يوضع فوقها السقف كما في جامع أبي دلف . وهذه البدنات المشيدة قد أغنت بطبعية الحال عن استخدام الأعمدة الاسطوانية التي كان يؤخذ بعضها من عمائر قديمة ، وخاصة المصنوعة منها من الرخام أو الجرانيت .

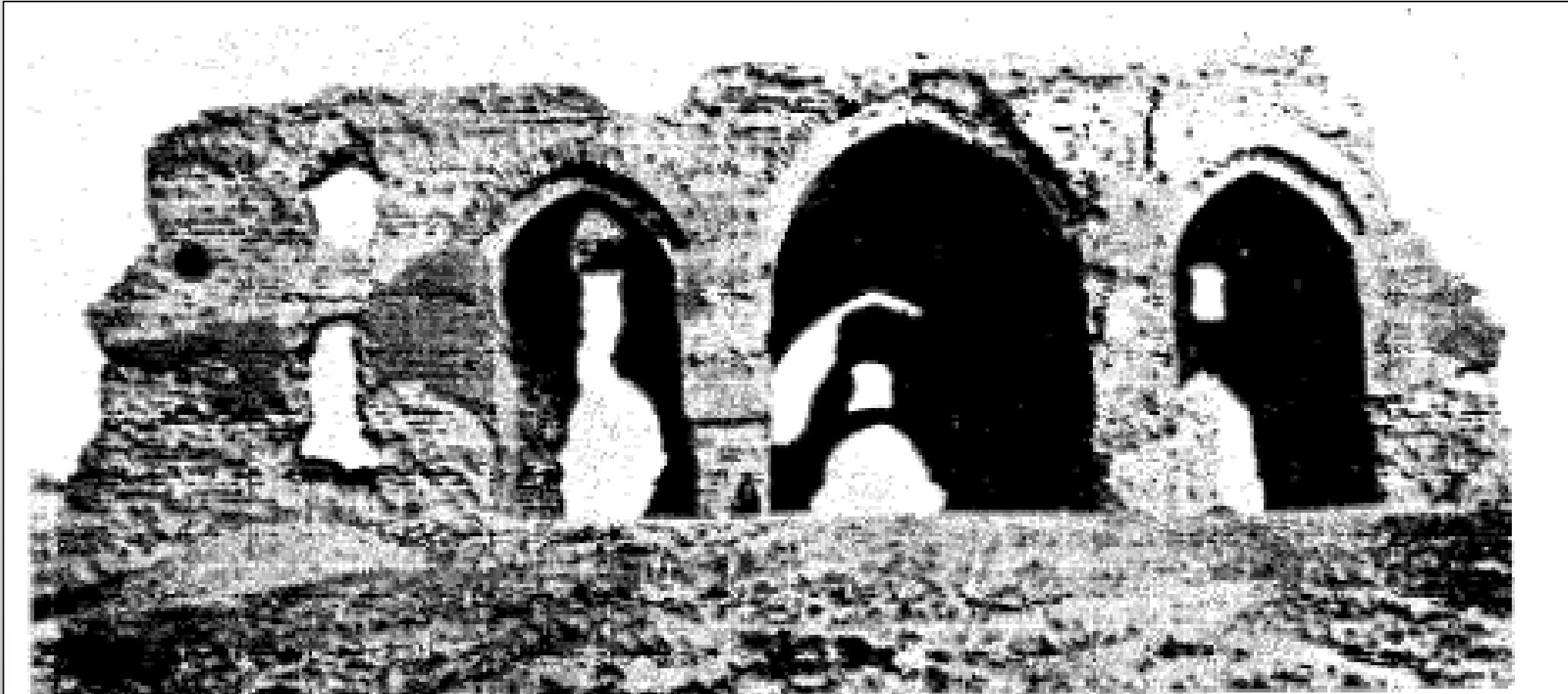
والخمامات والأسواق إلى غير ذلك مما يجعل القصر منها كأنه مدينة قائمة بذاتها .

ومن أهم أمثلة تلك القصور قصر الجوسق الحاقداني (ش : ٣٩ و ٤٠)^(٣) الذي بدأه المعتصم في عام ٢٢١ هـ (٨٣٦م) . وقصر بلكورا الذي بناء المعتز في حوالي عام ٢٤٧ هـ (٨٦١م)^(٣) . وقصر العاشق الذي بناء المعتمد فيها بين عامي ٢٦٤ - ٢٦٩ هـ (٨٧٨ - ٨٨٢م)^(٣) . ولعله هو نفسه قصر المشوق الذي تحدث عنه كل من الرحالة ابن جبير (١١٨٤م) وابن بطوطة (١٣٢٧م)^(٣) .

ويهمنا من تلك القصور بوجه خاص أنها وأقدمها وهو قصر المعتصم الذي سمي بالجوسق الحاقداني ، ويعرف الآن ببيت الخليفة . بالإضافة إلى أفنيته الواسعة وقاعاته العظيمة وقسماه والأبنية الخفية به لأهل بيته و بلاطه وجنده ، فقد جعل له ساحة كبيرة يلعب فيها بالصوالح (البولو) وميداناً عظيماً للسباق (ش : ٣٩) .



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ اِلَاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةِ ، الْقَرْنِ (٣-٧) هـ / (9-13) م



كريستيان

ش : ٤٠ - صاغرا، باب العافية



العارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (٣-١) هـ / (٩-٧) م



ش: ٤١ - سامرا، المفرنقة الإسلامية

مفاجئة مع ذلك العمران .

ومن الجدير بالذكر أن سامرا قد اشتهرت على مر السنين وحتى وقتنا هذا بيدعة معمارية ذات طلاوة وشخصية مميزة هي مئذنة الملوية (ش: ٣٨ و ١٧٨ و ١٧٩) التي شيدت بجامعها الكبير ولمسجد أبي دلف في شمال سامرا^(٣) .

وكذلك تبلور في سامرا تخطيط البيت العربي الإسلامي الذي بدأ ظهوره من قبل بناء سامرا ، وهو التخطيط الذي صار نواة للدور

ومن البليهي أن ذلك العمران الضخم الذي حدث في سامرا ما كان له أن يتم في تلك الفترة البالغة الفخر إلا بتضليل جهود أعداد كبيرة من المعماريين والفنانيين والحرفيين المحليين مع آخرين استقدموا من البلاد العربية الأخرى ، ولكنهم خضعوا جميعهم لتقاليد ومقاييس وأسس تم تضجها وإراسمه قواعدها من قبل البدء في بناء سامرا بنحو قرن من الزمان ، ثم زادت رسوخاً ونضجاً مع عمران تلك المدينة ونالت دفعة قوية تكاد تكون



العارة العربية الإسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (١-٣) هـ / (٩-٧) هـ

سامرا ، من حيث تعدد الإبرونات والقاعات التي على شكل حرف T ، وعلى نظام قاعة العرش في الجosoq الحاقداني ، كما يتجلّى أيضًا ذلك التأثير في الباب الخشبي المحفوظ في قلعة أجرا ، وتنسب إلى محمود الغزني أيضًا^(٢٠) .

ووفدت تأثيرات سامرا مع عبّي، أحد بن طولون ليتولى حكم مصر من قبل الخليفة العباسي في بغداد ، وبدأ ولايته بوصفه نائباً عن حبه باپاك الذي كان مفروضاً أن يتولاها بنفسه ولكنه فضل البقاء إلى جانب الخليفة . ولكن قبل أن تتبع تلك التأثيرات السامرية نجد من الجدير بالذكر المرور على ما كان قائماً من تقاليد معمارية سابقة عليها في مصر .

الهجرة النبوية ، ثم تكاملت شخصيتها واستقرت تقاليدها وانفتحت بشكل ملموس معللها التي تميزت بها في كل من جوهرها ومظهرها من بين سائر الطرز منذ متصرف القرن الثاني الهجري (٨٠) .

ومنذ ذلك الوقت ومن ذلك المنطلق الكامل النضج خرجت موجات من تأثيرات مفاهيمها وتقاليدها لتنشر في الجزء الشرقي من العالم العربي الإسلامي ، فقد يقى من تأثيراتها في فارس الزخارف الجصية في المسجد الجامع بمدينة ناين^(٢١) . كما تجلّى في بقايا قصر محمود الغزني في غزنة (أفغانستان الان) ويؤرخ في أوائل القرن ٥ هـ (١١م) ويوجد في «سوق لشكري»^(٢٢) ، وشيد كله على نظام قصور

والقصور في العالم الإسلامي كله ، ولعب دوراً هاماً في تكوينات القصور الثلاثة الكبرى في سامرا وهي : الجosoq الحاقداني ، وقصر بلکوارا وقصر العاشر على الضفة الغربية من دجلة . وتكون ذلك التخطيط من فناء أوسط تحيط به وحدات الدار ، وتمثل تلك النواة في الموزج الذي شيدت عليه البيوت الأربع في قصر الأخيضر (ش : ٣٤)^(٢٣) ، والذي شيد في بادية العراق في حوالي سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦م) ،

ويتكون من فناء أوسط على جانبيه بمجموعتان كل منها من إيوان تكتنفه حجرتان ، ويقدم المجموعة منها أحياناً سقفاً مستعرضة .

ويمكن القول إذن بأن العارة العربية الإسلامية قد وضعت قواعدها منذ اللحظات الأولى من ظهور الإسلام ، وأن مفاهيمها قد أخذت تبلور وتنضح منذ القرن الأول من



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ اِلَاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةُ ، الْقَرْنَ (١-٣) هـ / (٩-٧) م



ش: ٤٤

ش: ٤٤ - مصر، المدرسة الصالحية، ناج ناقوسى



هـ ٢٠٢

ش: ٤٣ - مصر، دير السريان، ناج ناقوسى



هـ ٢٠٢

ش: ٤٢ - سامرا، الجوسق الحافاني، ناج ناقوسى



العارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (١-٣) هـ / (٩-٧) م

بأساليب معمارية وبنائية تمثل في توزيع الشوافذ في الجدران الخارجية وبخاصة في ظلة القبلة^(٢٢) ، وفي الحنيات الفالرة الزخرفية ذات الطواقي الإشعاعية في الجدران الأخرى^(٢٣) ، ثم بقداها الزخارف الخفورة في الخشب^(٢٤) ، وكلها تعكس التقاليد الاموية المنظورة التي كانت سائدة في مصر قبل وصول التأثيرات السامورية . أما الاثر المعماري الثاني فهو غاية في الاهمة وهو مقاييس النيل بجزيرة الروضة المقابلة للقسطاط او مصر العاصمة (ش : ٤٥ - ٤٧) ويؤرخ في سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) . وهو من اجل الاعمال الهندسية ، إذ انه يثر عميقه يصل

ونشاهد تلك التقاليد في اثنين معبارين هما : الأجزاء الاصلية من جدران جامع عمرو بن العاص^(٢٥) في القسطاط والذي كان مسقطه يتبع المروج النبوى ذي الصحن والطلالات ، ولكنه يختلف عن بقية المساجد التي شيدت عليه في العالم الاصغر من ذلك من حيث توزيع الظللات الاسلامي وذلك من حيث توزيع الظللات الأربع التي تغرس كلها بعمق كبير غير مألوف ، بينما كانت ظلة القبلة في بقية مساجد العالم الاسلامي هي الوحيدة التي تتمتع بعمق كبير^(٢٦) .

كذلك يتميز جامع عمرو بن العاص



العارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (١-٣) هـ / (٩-٧) هـ

جباية الخراج أي المكوس الحكومية ، عندما يصل منسوب الماء إلى مستوى معين . وكان ينزل إلى قاع البئر عند اخسار الماء بواسطة درجات سلم في جوانبه لإجراء أعمال الصيانة (ش : ٤٦ و ٤٧) .

* * *

ثم وقد ابن طولون أتيا من سامرا التي ثنا فيها وترعرع ، ولا بد أنه قد سحب معه عدداً من المعماريين والحرفيين والفنانيين العراقيين الذين شاركوا في بناء عبادته ومدينته القطائع ، وجماعه وقصره العظيم الذي تحدث به الشعراء ، وما كان يحتوي عليه من أنواع الترف التي تفوق حد الوصف . غير أن كل ذلك قد أحرقه الجند العباسيون الذين أرسلوا إلى مصر

عميقها إلى نحو ١٢ متراً وعرض فوهة المربعة نحو ٦ أمتار ، وشيدت جدرانها على طبلية من جذوع الأشجار حلت مداميك الأحجار المقنة النحت ، وأغلبها من النوع المبوص الذي أشرنا إليه من قبل في الحديث عن معبد الأخدود (ش : ١٠ و ١١) . هذا وقد وضع في عور البئر وفوق الطبلية الخشبية عمود مرتفع بارتفاع البشر وله قطاع متعدد الأنسلاع ، وربط طرفه العلوي بكرة فنية من الخشب ثبت طرقها بمقداران الفروهة (ش : ٤٥) . وحفر على أضلاع العمود علامات تتمثل القراريط والأفرع لكي تبين ارتفاع منسوب الماء في البئر ، وبالتالي منسوبه في النيل الذي يتصل به من خلال ثلاثة أنفاق فوق بعضها ، وذلك لكي تبدأ



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ اِلَاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةُ ، الْقَرْنَ (٣-٧) هـ / (9-13) مـ

ش. ٤٥
شافعي

ش. ٤٥ - مصر، مقاييس النيل، فتحة البر



العارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (١-٣) هـ / (٩-٧) هـ

تحملها من النيل وتزود بها قصره وما فيه من
بساتين وتزود مساكن حاشيته في القطائع ، وما
زالت يقايدها وقطاعات منها واسحة في شرق
قرافة الإمام الشافعي^(٢٠) .

وشيد ابن طولون^(٢١) جامعه الكبير الذي
سلم معظمه من التدمير بوصفه بيتأ من بيت
الله ، وما يزال يحتفظ بكثير من معالم المعاشرة
والزخرفة التي يتضح فيها تأثيرات قوية من
أساليب سامرا مع بعض التحوير ، وشاهد كل
ذلك في التصميم (ش : ٤٨ و ٤٩) وفي
السلوب البناء بيذنات مشيدة بالاجر وفي
تواصيها أعمدة ملتصقة لها تيجان كاسية ، وفي
الزخارف المحفورة في الجص ، كما يشاهد في
المذنة ايضاً (ش : ١٨٠) ، وذلك على الرغم

للفضاء على الدولة الطولونية التي خرج
مؤسسها عن طاعة الخليفة ، كما أحرقوها
القطائع وما تحتويه من مساكن ومرافق أهلها
من أتباع الطولونيين^(٢٢) .

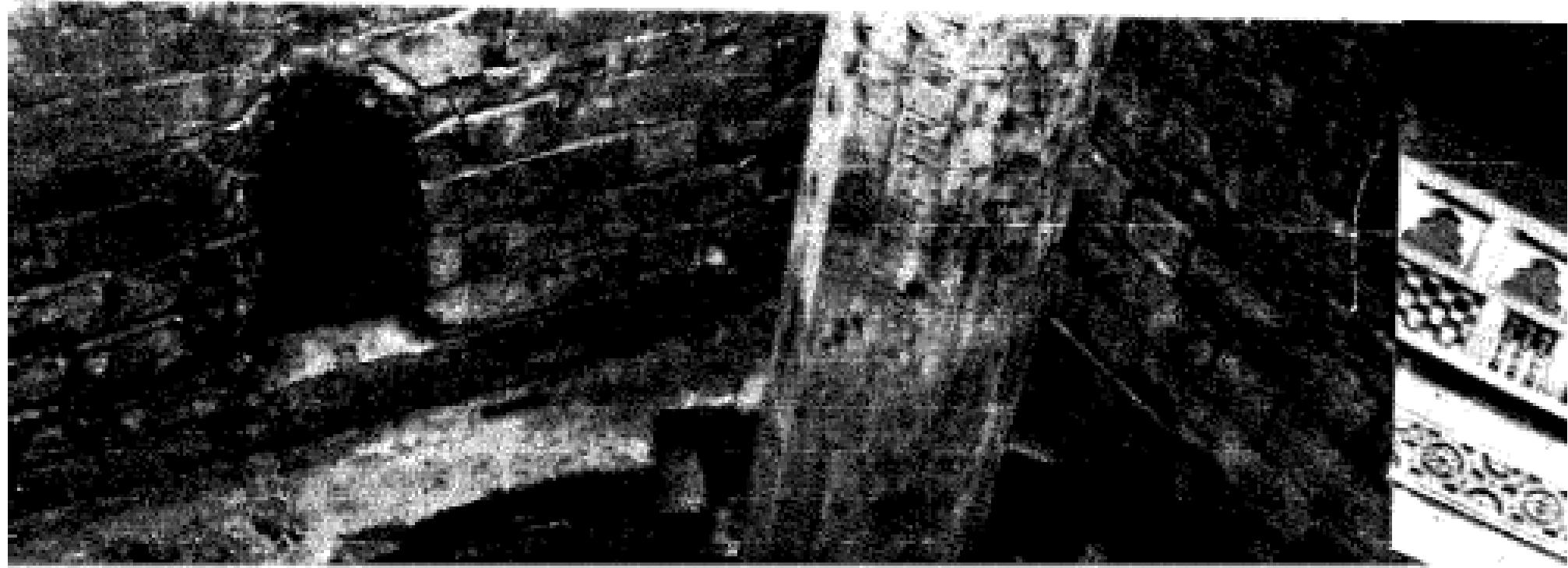
وكان ابن طولون قد شيد القطائع إلى
الشمال الشرقي من العسكر والقسطاط اللتين
كانت ت تكون منها العاصمة مصر ، ثم انضمت
إليها القطائع واسعت بذلك مساحة العاصمة ،
وجعل للعاصمة بعد تكامل شكلها شارعاً
اعظماً ، نشيئاً بما حدث في سامرا ، وكان
يصل بين النيل وبين قصره الذي سماه بقصر
الميدان ، والذي أراد أن ينافس به الجرسون
الخاقاني ، وهو قصر الخليفة في سامرا ، غير أنه
أضاف ما يلامس البيئة المحلية ، فشيد قنطرة مياه



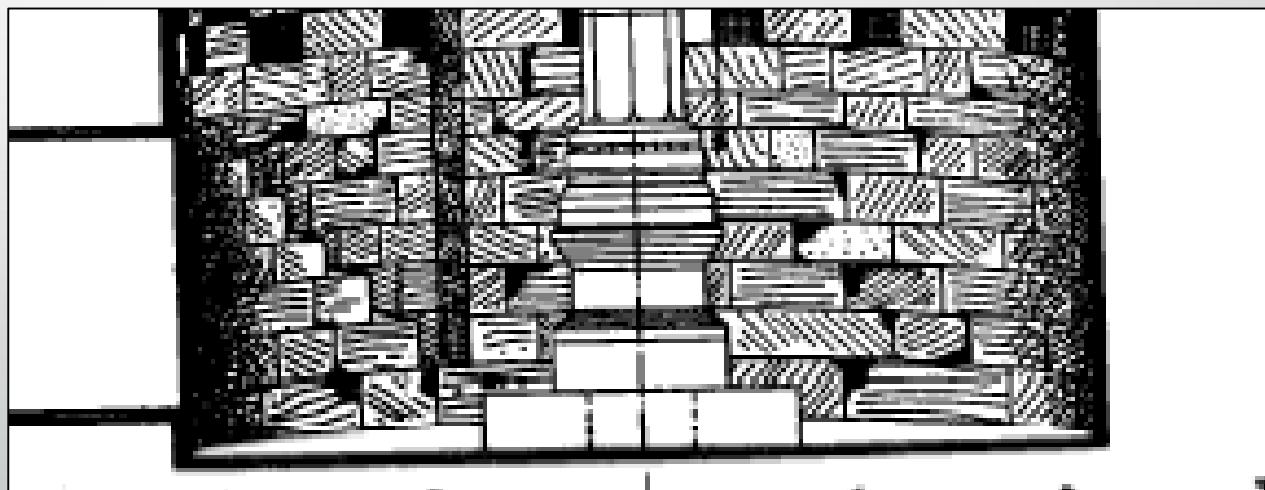
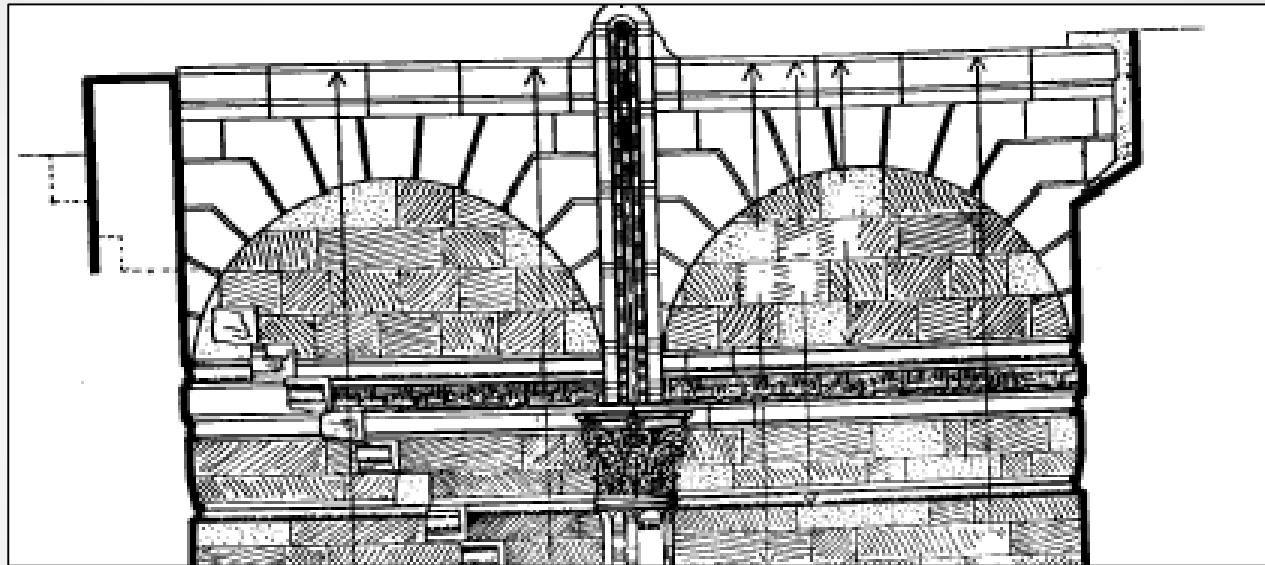
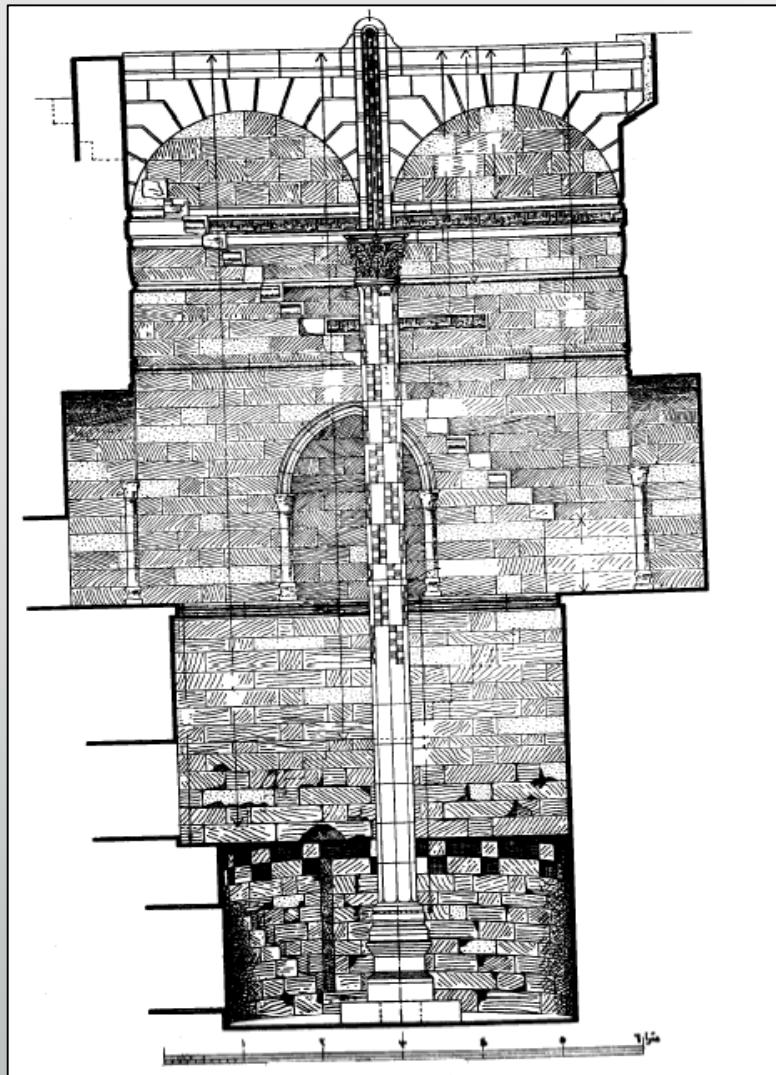
العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ اِلَاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةُ ، الْقَرْنُ (٣-٧) هـ / (9-13) مـ

ش. ٤٦

ش. ٤٦ - مصر، مقبرة النيل، قاع البتر



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ اِلَاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةِ ، الْقَرْنِ (٣-٧) هـ / (9-13) مـ



العارة العربية الإسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (١-٣) هـ / (٩-٧) هـ

العالم الغربي المسيحي .

ومن ناحية أخرى ، فإننا لا نستبعد أن تكون فكرة تلك التسميات من بلالات مفرغة بالزخارف الفاسية بوجه خاص قد نظرت مع الزمن لتوحى بابتكار أسلوب جديد آخر اخضعت به العارة العربية الإسلامية وأصبح من أشهر معالجتها ، إلا وصر عمل الأحجية المفرغة في الخشب لتغطية الفتحات ، وهي الأحجية المعروفة والمشهورة باسم «الشريات» (ش : ٨٦ و ٢٦١ و ٢٦٢) ، والتي لم يكن يخلو منها نوع من أنواع العمارت إلى عهد قريب ، وما يزال يشاهد في الأحياء الأصلية في المدن القديمة والتي لم تختد إليها عوامل التخرّب بعد ، ولكنها قد تعرّض

وتأتيها في قصر خربة المجر^(٣) .

ويعد عنصر التسميات هذا ، أي البلاطات الرخامية ، كالموجودة في جامع دمشق أو الجصية كالموجودة في كل من قصر خربة المجر أو في جامع ابن طولون ، والمفرغة في تكتونيات زخرفية ، ثم ملئت فراغاتها بعد ذلك بقطع من الزجاج الشفاف أو الملون ، تقول إن هذا العنصر يعد من الابتكارات المصرية الإسلامية التي تأثرت بها العارة الأوروبية في العصور الوسطى ، أي الرومانسية والقوطية ، ثم في عصر النهضة ، ومن المرجح لدينا أنها مصدر الإلهام بفكرة عمل الشبابيك من الزجاج العشق بالفلقوع الرقيقة من الرصاص والمعروفة بالإنجليزية بـ Stained Glass Windows والتي انتشر عملها في العمارت المدنية والدينية على السواء ، وأمثالها لا تقع تحت حصر في

الموجودة في واجهات جدران جامع عمر بن العاص^(٤) . وقد تطورت هذه الطوافى فيها بعد حتى أصبحت من العناصر الرئيسية في العصر الفاطمي وما بعده ، سواء استخدمت لطوافى الحنيات الزخرفية أم لطوافى المغارب .

ومن العناصر الظاهرة في جامع ابن طولون الشمسيات التي تُسْلِمُ جميع التوازن في الجزء العلوي من الجدران كلها ، وتوجد منها أنواع ونماذج متعددة ، وعملت في عدة عصور ولكن توجد منها ما يمكن أن ينسب إلى عصر بناء الجامع (ش : ٥١)^(٥) . وهذه التسميات الأصلية في جامع ابن طولون تعد ثلاثة الأمثلة الباقية من العصر الإسلامي المبكر ، فإذا كان أورها في الجامع الأموي بدمشق (ش : ٢٣) ،

من أنها ليست هي الأصلية التي كانت على الأرجح مشيدة بالأجر على يد تصميم ملوك سلالة ، أي ملوك المسجد الكبير (ش : ١٧٨) ولملوكه جامع أبي دلف . أما الثالثة الحالية فقد شيدت في عام ١٩٦٥ هـ (١٤٩٦ م)^(٦) أي بعد الأصلية بأكثر قليلاً من ٤٠٠ سنة ، وظلت مع ذلك تحمل نفس فكرة السلم الملقى حول البدن من الخارج سواء في الكتلة السفلية منها المتعامدة الأضلاع ، أو في الكتلة المتوسطة المستديرة القطاع (ش : ١٨٠) ، أما الجزء العلوي فهو ملوكى الطراز .

ومن العناصر التي تستلتف النظر تلك الخنابا المبوفة التي وضعت في واجهات الجدران بين النوافذ ذات التسميات ، وتنازل تلك الخنابا بطوافى ذات فسلوع مجوفة إشعاعية (ش : ٥٠) ، غير أنها تليل في التاريخ الخنابا



العارة العربية الإسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (١-٣) هـ / (٩-٧) م

قريبة بقابها زخارف جصية من طرز سامرا النقية التي لم تكن قد نظورت بعد ، وجدت ملتصقة بقطعات من جدران تلك الدار^(٢) ، وبذلك لم تترك مجالا للشك في تاريخها ونسبتها إلى العصر الطولوني (ش : ٥٢) .

وهذا الاكتشاف يوضح بكل جلاء أن الدار العربية الإسلامية ، التي يشاهد أقدم مثل لها في فخر الأخيضر (ش : ٣٤) وسرخ في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري

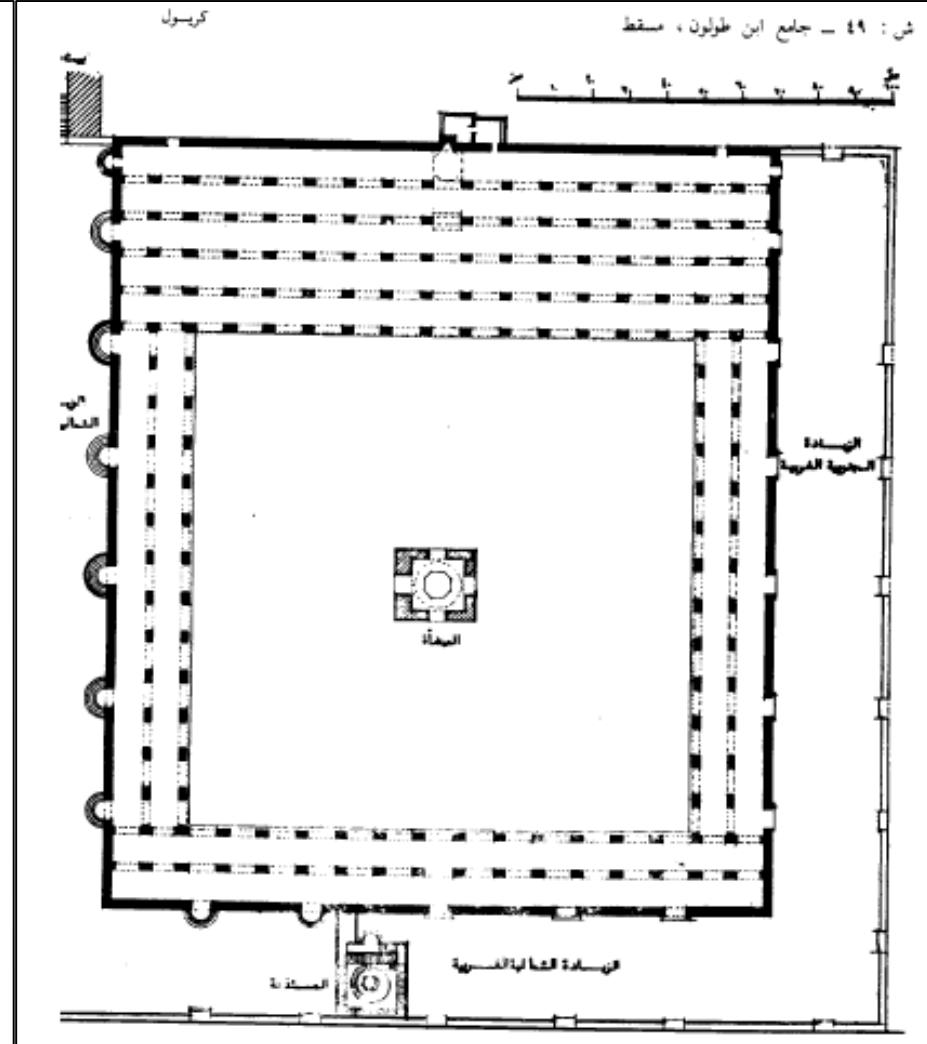
للزوال مع النشاط المدمر لإزالة المعالم القديمة الأصلية في تلك المدن لتقوم مقامها العناصر التي يقال عنها إنها من الطرز الحسينية .

* * *

ويرجع الفضل إلى سامرا في تعين تاريخ دار من الدور التي كشفت عنها الحفريات في منطقة من مناطق الفسطاط ، وذلك ضمن عدد من الدور كانت تزرع كلها بغير استثناء في العصر الفاطمي^(٣) ، غير أنه اكتشف في فترة



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ الْاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةِ ، الْقَرْنِ (٣-٧) هـ / (9-13) م



العارة العربية الإسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (١-٣) هـ / (٩-٧) م

منه إيوان مفتوح عليه (ش : ٥٢) وحول الإيوانات وحدات الدار الأخرى ومرافقها ، هذا التصميم لم يلتقي إقبالاً ولم يصل حفظة في العالم العربي في الغرب الإسلامي الذي استخدم الفناء كعنصر أساسى في وسط الدار ، ولكن الإيوانات استبدلت هناك بقاعات مففلة^(٢) ، ولا نظن أن ميل المناخ إلى البرودة في الغرب الإسلامي كان السبب في ذلك ، فلأن تلك البرودة لا تزيد عنها في منطقة العراق

(٨م) ، قد وصلت إلى مرحلة تافحة واضحة في العصر الطولوني المتبق عن العراقي الساهري ، أي بعد قرن واحد ، الامر الذي يرجع لدينا أنه قد حدثت مراحل أخرى ربطت بين تلكما الحلقتين في أثناء ذلك القرن ، وفي باقى أخرى من العالم العربي في منطقة الشرق الإسلامي وليس في منطقة الغرب الإسلامي ، فإنه مما يدعو إلى العجب أن هذا التصميم المكون من الفناء الأوسط وعلى جانب أو أكثر



العارة العربية الإسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (٣-١) هـ / (٩-٧) هـ

هيئه طاقية أو نصف قبة صغيرة مدببة
القمعة^(٤٤) . ثم ظهرت على هيئتها الناضجة
القلبيه (ش : ٤١) في العارة العربية
الإسلامية في أقدم مثل لها موجود في باب
العامة (ش : ٤٠) وهو المدخل الرئيسي لقصر
الجوسوق الخاقاني ، أي قصر الخليفة في سامرا
(ش : ٣٩) ، ونبذوا فيه المقرنقة على هيئه
حبة بحيرة توجها طاقية مدببة .

وتواترت حلقات نظوراتها بزيادة عددها
وتراكبها فوق بعضها البعض في صفوف حتى
أصبحت كخلية النحل واحتلت مكانة خاصة
بين عناصر العارة العربية الإسلامية في جميع
العصور والفترات (ش : ١٣١) .

الطريق الصحراوي بين القاهرة والاسكندرية ،
وهي كنيسة شيدت في العصر الطولوني
(ش : ٤٢)^(٤٥) .

ودام استعمال الناج الكلاسي منذ اوائل
القرن ٩٢ هـ^(٤٦) وحتى بعد أن اشتهر الناج
الإسلامي الصمم المكون من عدة صفوف من
المقرنفات الدقيقة كما سيأتي الحديث عنه
(ش : ١٣١ و ١٣٢) .

ومن العناصر التي اشتهر بها الطراز
العماري العربي الإسلامي وصار من أعلام
ميزاته عنصر المقرنقة (stalactite) الذي
يستخدم لتحويل الطرف العلوي لركن منطقة
متعامدة الأضلاع إلى قوس ترتكز عليه ربع
دائرة من الحافة السفل لقبة . وبعود أقدم أمثلة
تلك المقرنقة إلى العصر العباسي البكر ويوجد
في قصر الأخضر في بادية العراق ، وهو على

عنها بعد قليل (ش : ٦٩ - ٦٨) .

أما المفروج الكلاسي فإن أقدم مثل له
يشاهد في ناج عمود في محراب مسجد
(ش : ٤٢) في الجرسق الحاقاني^(٤٧) ، وهو قصر
العتصم الذي شيد في سامرا في عام ٢٢١ هـ
(٨٣٦ م) ، ثم نال حظوة كبيرة حتى انتشر
استعماله لكل من النهجان والقوaud ، ومنها
مثل مبكر يعود إلى منتصف القرن ٩٣ هـ (٩٤)^(٤٨) .

في قاعدة عمود التراصي في حنيات غائرة في
جداران بثر مقابلان النيل بالروضة (ص : ٤٥) .

كما انتشر استخدامه لجميع تيجان
الأعمدة المنتصفة بشواصي بدنان جامع ابن
طولون ، كما أن له مثلاً في كنيسة العذراء بدير
المریان في وادي النطرون الذي يوصل إليه

والشام ، والعراق هي الموطن الذي نبت فيه
فكرة الإيوانات المفتحة على الفناء الأوسط كما
سبق شرحه . وليس هناك من شك في أن
الفناء الأوسط كان بمثابة الرئة التي تغذى
وحدات الديار بالهواء النقي وتكسر حدة
الشمس والضوء في أيام الصيف كما كانت
تحفظ بالدفء في الشتاء ، وكان يغتنم أصحاب
الديار في عمل أحواض ماء أي مساقٍ
ونافورات في وسط الفناء ويعطرها بأحواض
الزهور . * * *

ومن الجدير بالذكر ، أنه قد تطور منذ
العصر العباسي المبكر لنموذج إسلامي لناج
العمود وهو يشبه الشكل الكلاسي أو الناقوسى
(ش : ٤٢ - ٤٥) والذي اختص به شرق
العالم العربي الإسلامي دون غيره الذي نتج
في نوذجان آخران لتيجان الأعمدة مستحدث



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةِ ، الْقَرْنِ (٣-١) هـ / (٩-٧) مـ

على هيته الحالية والتي يعود أغلب أجزائها إلى نحو منتصف القرن الثالث الهجري (٩٤ مـ) (ش: ٥٣ - ٥٥).

ووهنا من تلك الأجزاء بصفة خاصة مئذنة المسجد التي يحتمل أن تكون أقدم مئذنة يابانية من العصر الإسلامي، إذا صحت نسبتها إلى أوائل القرن ٢ هـ (٨٠ مـ) حسب إحدى النظريات المعمارية، أو ثانية المآذن بعد ملوك ساماوا بستونات قليلة، إذا صحت أقوال المؤرخين (ش: ١٦٣ و ١٦٤).

ومهما يكن من أمر، فإنها قد لعبت دوراً غاية في الأهمية في نظر المأذن في الغرب الإسلامي كله، من إفريقيا حتى الأنجلترا،

الوقت للطابع الإسلامي العام الموحد الذي لم تقو نزعات الاستقلال على النيل منه أو إضعافه، وذلك من ناحية أسمه وتقاليده التي رسخت أقدامها مع إقام الفتوح واستقرار الأمور للعرب المسلمين في تلك الأقطار المختلفة، متمنية في ذلك مع رسوخ تعامل الإسلام واللغة العربية فيها كلها، والتي لم تقو آية صعوبات حرية أو حواجز جغرافية من صحراءات جرداء أو بخار أو مجاري أنهار، على الوقوف أمام ذلك الإصرار العنيد والإرادة الجبارية على فتحها ونشر الإسلام فيها.

ومن أقدم الأسماء التي دوت في الغرب الإسلامي منذ الفتوح الأولى، اسم مدينة القبوران، واسم مؤسسها عقبة بن نافع (١٣١)، ومؤسس أول مسجد جامع على أرضها (١٣٢)، والذي ما زال قائماً شاملاً حتى وقتنا هذا بعد أن عدل وجدد وزيد فيه عدة مرات حتى صار

الأنجلترا، وغير ذلك كثير.

ثم تبعت الفرنس للفاطميين لتأسيس دولة لهم في إفريقيا خلفت الأغالبة، ثم أخذت تشتت قوتهم حتى بسطوا نفوذهم على منطقة شمال إفريقيا كلها حتى الحبيب الأطلسي، وإلى جزيرة صقلية، ثم إلى مصر.

ونشا عن نزعات الاستقلال هذه في غرب العالم الإسلامي إلى الابتعاد تماماً عن الفوضى السياسي للخلافة العباسية المستقرة في بغداد ثم في سامرا ثم في بغداد ثانية، إلى وضع طابع خاص بالعمارة والفنون الإسلامية في الأقطار الغربية جعلها تميز بشخصية محلية غير متأثرة بالطابع السامي، ولكنه ظلل خاصعاً في نفس

وعاق ذلك التيار السامي عن الانطلاق إلى أقطار الغرب الإسلامي في وقت معاصر حكم الولاة العباسيين، وبخاصة أيام الطولونيين، ما حدث من نزعات الاستقلال عن الخلافة العباسية، ومن محاولات قيام دوليات في أرجاء العالم الإسلامي كله، شرقه وغربه، وبخاصة في المنطقة الغربية، حيث قامت دولة الأغالبة في إفريقيا (تونس) وفي جزيرة صقلية. ومن أشهر أملاك الباقية في إفريقيا إعادة بناء جامع القبوران (ش: ٥٣ - ٥٥)، وأسوار مدينة سوسة (١٣٠)، وجامعها (ش: ٥٦ و ٥٧) (١٣٣) ورباطها (١٣٣). كما قامت دولة الرستميين في تاهرت، إلى غير ذلك من الدوليات التي ما كانت تستمر فترات طويلة كافية، وكانت تميز فيها بناء مدن صغيرة حصينة وبعض القلاع، مثل سوسة وقرطبة ومدينة الزهراء وقلعة أو قصبة مریدا في



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةِ ، الْقَرْنِ (١-٣) هـ / (٧-٩) م

الإسلامي ، وذلك من حيث التخطيط وأساليب البناء وظهور عدة عناصر معمارية وزخرفية ، كان بعضها قد وصل إلى الغرب الإسلامي من الشرق مع الجيوش الفاتحة ، ثم تطور وأصبح من أعلام ذلك الطراز في الأقطار الغربية الإسلامية ، مثل ظاهرة الأبلق (ش: ٦٢) ، وهي البناء بمداميك أو صنوجات عقود من لوبين وبالتالي أحدهما فاتح والآخر داكن ، ومثل عنصر العقد شكل حدوره الفرس (ش: ٢٢٣) ، ومثل العقد ذي الفصوص الثلاثة أو المتعددة وظاهرة العقود المتقطعة والتشابكة (ش: ٦٤) ، بل إن تيجان الأعمدة ذات الأصل الروماني من النوع الكورنثي المركب قد تطورت إلى أشكال مجربية

ومن أهم التجزيات المعمارية من الطراز العربي الإسلامي هناك بناء المسجد الجامع^(٣) بمدينة قرطبة على أيام عبد الرحمن الأول اللقب بعد الرحمن الداخل . ثم توالت على المسجد أعمال التجديد والإضافة والتوسعة حتى وصل إلى أضعاف ما كانت عليه مساحته الأولى . وبدأ تخطيطه على غرار المسجد النبوى بالمدينة المنورة في أول أمره ، أي كان مكوناً من ظلة عميقة جهة القبلة ويقدمها الصحن (ش: ٥٩) . ثم زاد فيه الخلافة من بعد عبد الرحمن الداخل حتى وصل إلى المساحة التي كان عليها قبل أن يحوله الأسبان إلى كنيسة (ش: ٦٠) والتي حشرواها حثراً في وسط المسجد (ش: ٦١) .

وتتمثل في جامع قرطبة مرحلة بل مراحل من التضحى المعماري والفقهي للطراز العربي

بل وفي تطور المادن في مصر منذ العصر الفاطمي حتى أوائل المamlوكي كما سألي شرحه .

و بعد فترة لا تكاد تتجاوز القرن من الفتح الأول الذي فتح تلك الرقة الكبيرة من الأرض بما يطلق على إقليم الدولة العربية الإسلامية بعد أن نجح عبد الرحمن بن معاوية في النجاة ب نفسه والفرار من العباسين إلى الأندلس في عام ١٣٨هـ (٧٥٥م) ، ثم تأسسه للخلافة الأموية الغربية في تلك البلاد ، ودامت فيها نحو قريبين من الزمان .



ثانية

ش: ٥٠ - جامع ابن طولون ، حنية جدارية



العمراء العربية الإسلامية في عصورها المبكرة ، القرن (١-٣) هـ / (٩-٧) م

مكاناً إلى يمين الباب الذي وضع على محور
الهرب وفي جدار الصحن المقابل لظلة القبلة .

ثم أعيده بناءً مبنيةً أخرى عند توسيع المسجد .
وكانت تحفل نفس المكان الأول والذي يشغله
الآن برج الأجراس الحالي والذي شيد بعد
تحويل المسجد إلى كنيسة . كما يغلب على ظهور

منه (ش : ٦٥ - ٦٨) ابتكراها خيال المعماريين
الأندلسيين .

وتزال ظهر تلك العناصر والابتكارات على
مدى نحو ٢٠٠ سنة ، وكان من أهمها المئذنة
التي ذكر أنها شيدت لأول مرة بعد إتمام بناء
المسجد الأول ، وأغلبظن أنها كانت تحفل

من الخشب المغطى بالقرميد ، أما القبة فقد
شيدت من أقواس أو عقود رفيعة نسميا
«بالفنانات» اشتقاقةً من الفنا وهو عصا
الرمع ، وشيدت تلك الفنانات من الحجر
متقطعةً مع بعضها البعض فتشكل أشكالاً من
حوش هندسية تلا بالزخارف أو

أن تصمم المئذنة كان وثيق الصلة بتصميم
مئذنة جامع القبروان ، والتي اتبصر عنها تصميم
مآذن الغرب الإسلامي كله .

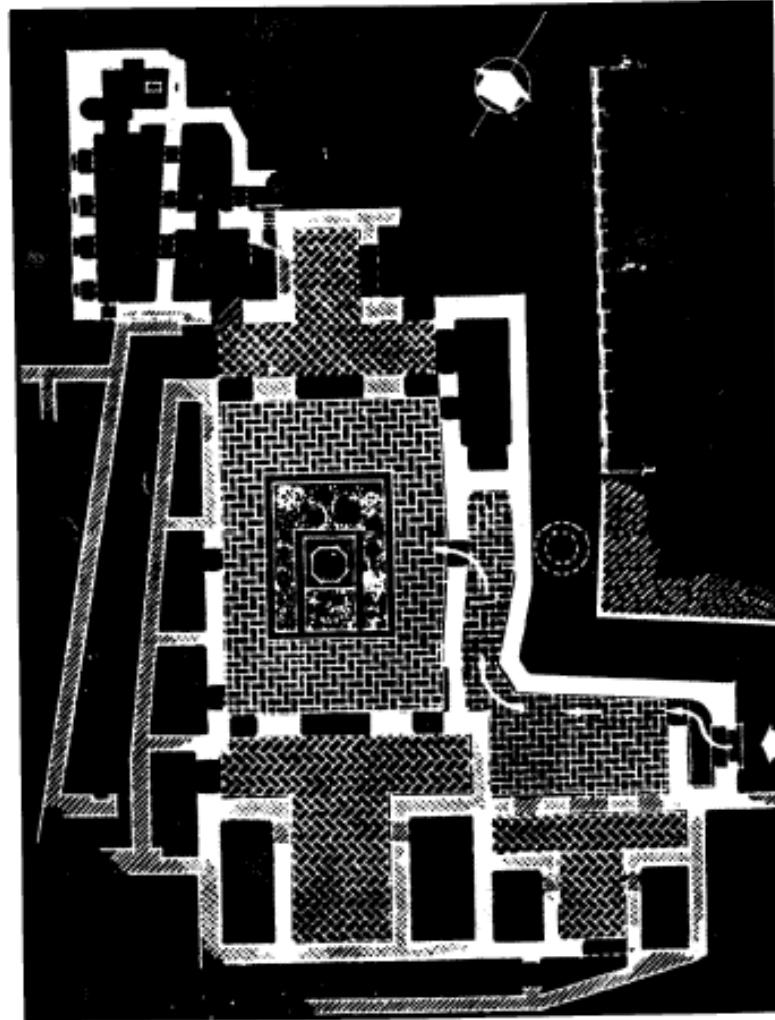
ومن الابتكارات المعمارية والبنائية في الغرب
الإسلامي والتي تتصف بالبراعة والطراوة فكرة
عمل قبة من مغطاة بقشرة خارجية من جالون

الحادي عشر العناصر الرئيسية للعمراء العربية
الإسلامية .

السميات ، كما وضعت في قبة تلaci تلك
الفنانات قبيبة ذات قنوات إشعاعية مجوفة ،
وسنعود إلى شرحها وتحليلها في مكانها ضمن

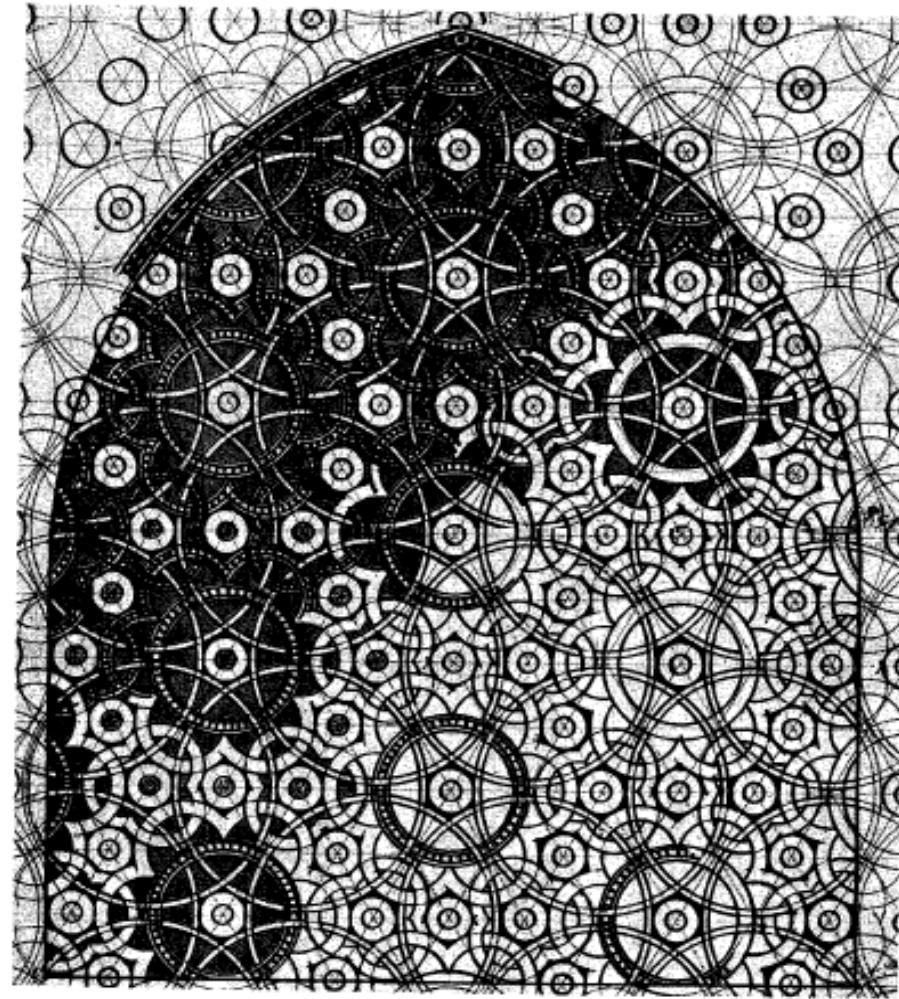


العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ اِلَاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةُ ، الْقَرْنَ (٣-٧) هـ / (9-13) م



عيّس حلمي

ش: ٥٢ - مصر، المسجد الطولوني

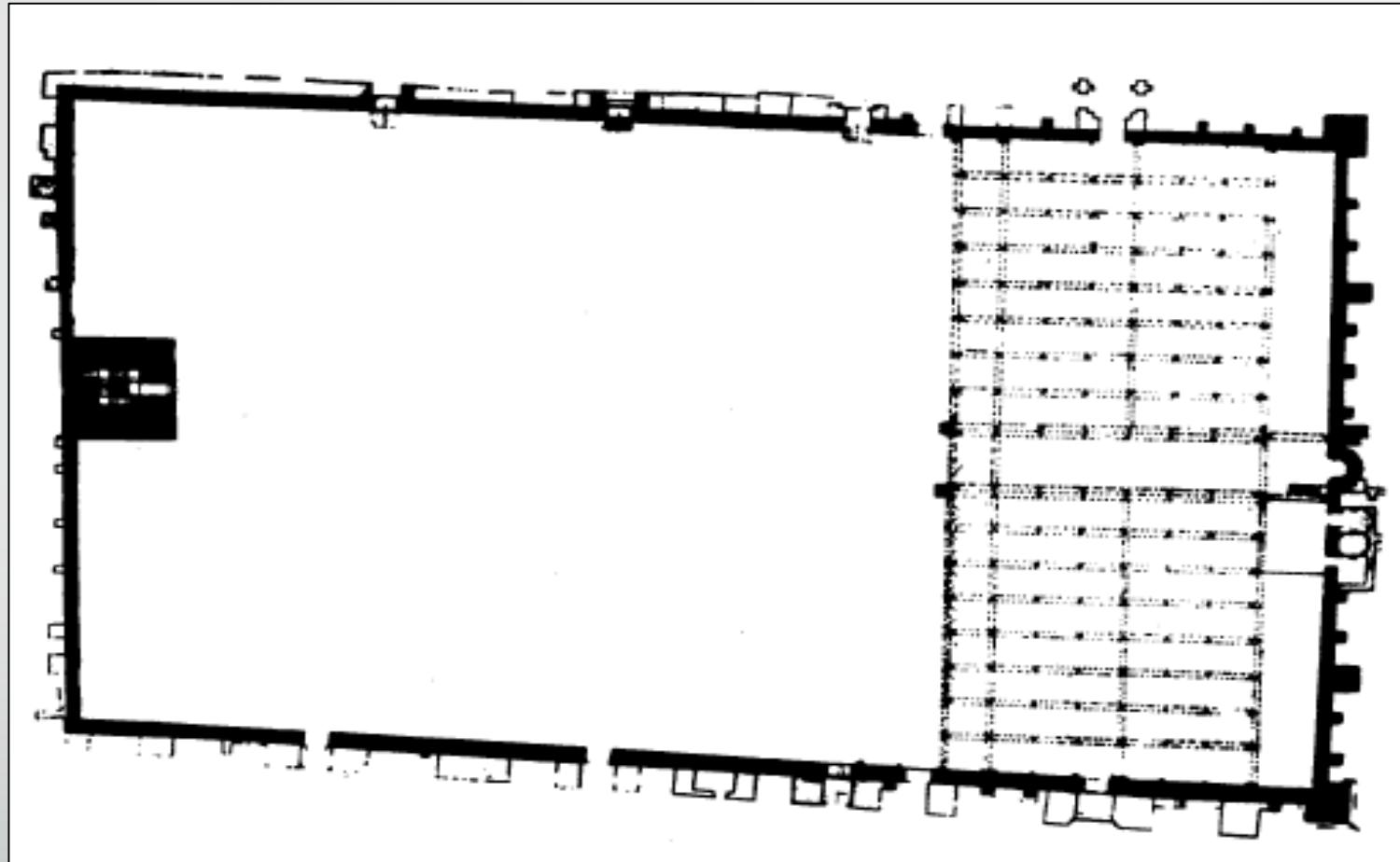


كريستل

ش: ٥١ - مصر، جامع ابن طولون، تفاصيل من المقصورة



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ اِلَاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةُ ، الْقَرْنَ (٣-٧) هـ / (9-13) م

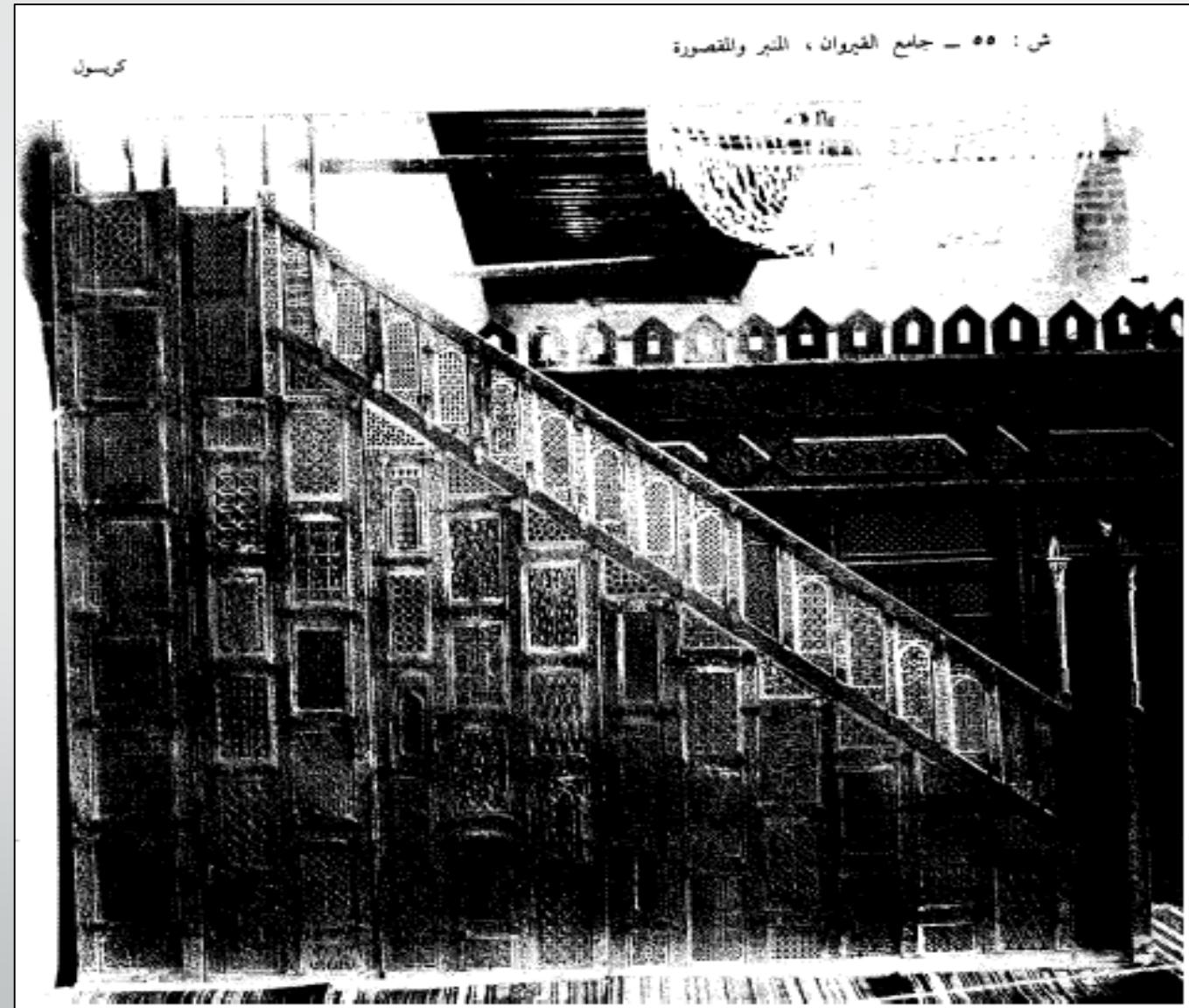


كتاب

ش : ٤٢ - جامع القبوران - مقطع



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ اِلَاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةِ ، الْقَرْنِ (٣-١) هـ / (٩-٧) م



العَمَارةُ الْعَرَبِيَّةُ اِلَاسْلَامِيَّةُ فِي عَصُورِهَا الْمُبَكِّرَةُ ، الْقَرْنُ (٣-٧) هـ / (9-13) م

